

المقاصد المعنوية للزكاة

الأستاذ الدكتور عصام عبد الهادي أبو النصر

أستاذ ورئيس قسم المحاسبة والمراجعة

كلية التجارة - جامعة الأزهر

يقول الحق تبارك وتعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (التوبة: 102).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

- "إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء" رواه الترمذي.

- "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" وذكر منهم: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ" رواه البخاري.

- "من نَفَسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"، رواه ابن ماجه والترمذي.

المقاصد المعنوية للزكاة

تمهيد

تُمثل الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، وهي واجبة بنص كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً، وقد جاء الأمر بها في القرآن الكريم مقروناً بالصلاة في العديد من الآيات القرآنية الكريمة.

وقد شُرعت الزكاة بغرض تحقيق العديد من المقاصد المعنوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للفرد والمجتمع المسلم.

وقد سبق أن تناولنا في كتابنا الإطار الفقهي والمحاسبي للزكاة الجوانب التطبيقية المعاصرة لحساب الزكاة من حيث الوعاء والنصاب والسعر والشروط الواجب توافرها في المال الخاضع للزكاة، وكذا

الإجراءات والأدوات والمصارف ونحو ذلك، وتختص هذه الورقة بتناول المقاصد المعنوية للزكاة، فللزكاة مقاصدها المعنوية والمادية سواء أكان ذلك على مستوى الفرد- مُزكياً كان أو مستحقاً- أو على مستوى المجتمع.

ولعل السبب في التركيز على المقاصد المعنوية أو الروحية للزكاة هو أن صلاح القلب أساس صلاح الجسد، فالصحة القلبية تُعد شرطاً للصحة الجسدية وإذا شقت النفس شقي معها البدن، كما أن أمراض الأبدان تنتهي بالموت أما أمراض القلوب فإن أثرها يبقى مع الفرد لما بعد الموت: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ". (الشعراء: 88، 89)، كما أن الأمراض القلبية قد يكون لها آثاراً أبعد مدى وأكثر خطورة من الأمراض البدنية على الأفراد وهم لبنات المجتمع، وسلامة المجتمع في سلامة لبناته.

وسوف نتناول هذه الآثار بالنسبة للمزكين وكذا بالنسبة لمستحقي الزكاة، يلي ذلك بعض الوصايا للمزكين حتى تحقق الزكاة مقاصدها وآثارها، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أولاً: بالنسبة للمزكين

للزكاة العديد من المقاصد المعنوية بالنسبة للمزكين، ولعل أهم هذه المقاصد ما يلي:

(١) تخليص المزكي من آفة الشح وحب المال

يُعتبر الشح من الأمراض الخطيرة التي قد تصيب الفرد وتؤدي إلى هلاكه، ولذا فقد حثنا القرآن الكريم على التخلص منه، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الحشر: 9)، كما حذرنا من البخل بقوله عز وجل: "وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ (محمد: ٣٨).

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا التحذير بقوله: "إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمْرُهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمْرُهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا، وَأَمْرُهُمْ بِالْفُجُورِ فَقَجَرُوا" رواه أبو داود، فالشح يؤدي إلى البخل والقطيعة والفجور، ويدفع الفرد لبيع دينه وعرضه وبلده.

والإسلام يرفض أن يتعامل المسلم مع المال وكأنه هدفاً له في حياته من خلال اكتنازه، بل يجب اتخاذه وسيلة لتحقيق رضا الله عز وجل من خلال إنفاقه فيما أمر الله به، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيسَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطٌ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَاشَ"، رواه البخاري.

ويقول على بن أبي طالب رضي الله عنه: "قوام الدنيا لأربع: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستتشف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه".

وللزكاة دور هام في شفاء الفرد من هذا المرض الخطير، فهي تطهره من البخل والحرص والشح بإخراج الزكاة، وعلى قدر حرص الفرد على إخراج الزكاة يكون شفاؤه من هذا المرض، بل إن الزكاة تنتقل بالمزكي إلى ما هو أبعد من ذلك، فهي تُعوّده على الإنفاق والبذل والتضحية والعطاء ومن هنا كانت

الحكمة من وجوب زكاة الفطر على كل من ملك قوت يومه، وكانت الحكمة أيضاً من إخراج الزكاة مرة كل عام، بل وجواز إخراجها مُقسطاً.

(٢) انشراح صدر المزكي

فالزكاة أحد أسباب انشراح الصدر وراحة البال والشعور بالسعادة والاستقرار النفسي ولعل السبب في ذلك يرجع إلى شعور المزكي بطاعة الله عز وجل وانتصاره على نفسه والتي تميل - بطبيعتها - إلى حب التملك وزيادة المال "وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا" (الفجر: 20) كما قد يرجع السبب في ذلك إلى إسعاد المزكي لمستحقي الزكاة وإدخال السرور عليهم فالفرد السوي يسعد بإسعاد غيره. كما أن الإنسان مخلوق أصلاً على حب عمل الخير، وإخراج الزكاة من أعمال الخير، "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" (الروم: ٣٠) وهو لن يشعر بالراحة والطمأنينة إلا إذا أخرج الزكاة فهو بعدم دفعه الزكاة يحرم نفسه من الراحة ومن الطمأنينة ومن إنشراح الصدر. وقد اثبتت الدراسات الحديثة أن السعادة تقوي جهاز المناعة ومن ثم تحمي الفرد من الإصابة ببعض الأمراض ولا سيما أمراض القلب وتصلب الشرايين والضغط وتشنجات القولون.

(٣) تعويد المزكي على الصدق

لهذا أمرنا القرآن الكريم بالصدق في الأقوال وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (التوبة: 119)، وللزكاة دورها في تعويد الفرد على الصدق، بل إن الزكاة قد تسمى بالصدقة وفي هذا دلالة على صدق المزكي في عبادته وبرهانه على طاعته لله عز وجل ومطابقة فعله لقوله وعدم مخالفته له من خلال إخراج جزء من المال الذي تعب في جمعه، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ" رواه مسلم.

(٤) تعويد المزكي على شكر النعمة

لكل نعمة شكر، وإذا أنعم الله على فرد برجاحة عقل أو مال أو زوجة صالحة أو أولاد أو منصب أو قوة في بدنه أو غير ذلك وأراد أن يحافظ على هذه النعمة فإن عليه أن يلتزم بالقانون القرآني في هذا الصدد، وهذا القانون نجده في قوله تعالى، "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (إبراهيم: 7). وعلى ذلك، إذا أراد الفرد منا المحافظة على نعمة المال، فعليه بشكر الله على هذه النعمة، والشكر يكون من جنس النعمة، كما يكون بالعمل لا باللسان فقط، فالحق سبحانه وتعالى يقول: "اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا" (سبأ: ١٣). والعمل هنا يكون بإخراج الزكاة. ففي شكر الله ضمان للمحافظة على النعمة بل وضمان لزيادتها وعدم تحولها فالشكر حصن للنعمة، وهو دليل على استقامة المقاييس البشرية.

(٥) دفع الخوف والحزن عن المزكي

فالزكاة أحد أسباب دفع الخوف والحزن عن المسلم، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة: 262)، كما يقول عز وجل: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

عَنْ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة: 274)، فالذي يدفع الزكاة لا خوف عليه في الدنيا ولا في الآخرة. لا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على الماضي، فهم في أمان، وهم في اطمئنان.

(٦) علاج بعض الأمراض التي قد تُصيب المزكي

فالزكاة تحفظ البدن وتدفع عن صاحبها الأمراض، ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "داووا مرضاكم بالصدقة" سنن البيهقي. ويُفهم من الحديث الشريف أن في الزكاة علاج للأمراض بنوعها البدني والنفسي، بل أن التداوي بالصدقة قد يكون أكثر فاعلية من التداوي بالعقاقير الطبية في بعض الأمراض التي قد تصيب المزكي.

(٧) زيادة ومضاعفة الأجر والثواب للمزكي

فأجر الزكاة والصدقة عند المولى سبحانه وتعالى يكون أضعافاً مضاعفة، وفي ذلك يقول عز وجل: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (البقرة: 261، 262)، فمضاعفة الأجر هنا بلا حساب وبلا حدود وحسب إخلاص المزكي أو المتصدق. كما يقول عز وجل: "وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ" (الروم: 39). كما يقول سبحانه وتعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (البقرة: 245).

وفي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من تصدق بعدل تمرة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل" رواه البخاري.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا دَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا"، رواه الترمذي. وهناك نماء آخر حقيقي من خلال دفع الفرد إلى تنمية واستثمار أمواله حتى تخرج الزكاة من الربح لا من رأس المال وحتى لا يتآكل رأسماله تدريجياً بفعل الزكاة والتضخم.

(٨) حفظ وتحسين مال المزكي

فالزكاة تحفظ للمزكي ماله من الخسارة وتحصنه من التلف، فهي بمثابة الحارس على المال، ففي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حصنوا أموالكم بالزكاة" سنن البيهقي. بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم يُحذر أصحاب الأموال من عدم المبادرة إلى إخراج الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم: "ما خالطت الصدقة مالا إلا أهلكته" سنن البيهقي.

(٩) طهارة مال المزكي

فالزكاة تُطهر مال المزكي بتخليصه من حق الغير، وحق الغير هنا يتمثل في الزكاة، فالزكاة حق للفقير ولغيره من مستحقي الزكاة ومال الغني لا يطهر إلا بتخليصه من حقوق الغير ومنها حق مستحقي الزكاة، كما أن كسب المال قد لا يخلو من الهفوات والمخالفات فتكون الصدقة تطهيراً له من ذلك، وفي

ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا معشر التجار إن البيع يحضره الحلف واللغو فشوبوه بالصدقة" رواه ابن ماجه.

(١٠) استجلاب البركة للمزكي

فالزكاة تجلب البركة في مال المزكي، ففي القرآن الكريم "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (سبأ: 39) فالإنفاق لا ينقص المال كما قد يتوهم البعض بل يزيده. "كما يقول الله عز وجل: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (إبراهيم: 7).

وفي الحديث القدسي: "يا ابن آدم إنفق أنفق عليك".

وما من مسلم يحرص على إخراج الزكاة إلا وتحل البركة في ماله وتنتشر له أسباب الرزق، وقد تتمثل هذه البركة في الدخول في تجارات رابحة أو في زيادة معدل دوران سلعته أو نحو ذلك، كما قد تكون البركة في الوقت وفي الزوجة وفي الأولاد وفي الصحة وفي التوفيق في العمل، وأساس ذلك قول الحق تبارك وتعالى: " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى" (الليل: 7:5)، فعلى كل من أراد البركة والتيسير أن يتق الله وأن يعطى من ماله ووقته وجهده وعلمه وخبرته ومنصبه، وهذه قاعدة.

(١١) جلب محبة ومودة مستحقي الزكاة

من المسلم به أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها والميل إليه وبغض من أساء إليها، ففي الأثر: "جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها"، والفرد لن يستميل القلوب إلا بالإحسان فبالإحسان تتغير الغايات وتنبدل العقائد.

ومن صور هذا الإحسان ما يأخذه مستحقي الزكاة من أموال الأغنياء، حيث تترك هذه الأموال الأثر الطيب في نفوسهم تجاه المزكي، بل وتدفعهم دفعا إلى مودته والدعاء له، وستر عيوبه وزلاته والتجاوز عن هفواته. وفي ذلك يقول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

(١٢) محو الخطايا والذنوب التي قد يقع فيها المزكي

فالزكاة أحد أسباب محو الخطايا وتكفير الذنوب والتجاوز عنها، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ" (هود: 114)، والحسنة هي كل فعل خير، والصدقة من أعظم الحسنات والخيرات.

ويؤكد على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله "وَأَنْتَبِغِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا" رواه الترمذي. وكذا بقوله صلى الله عليه وسلم: "والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفئ الماء النار"، مسند أبو يعلى.

(١٣) الزكاة تدفع غضب الرب عن المزكي

فالزكاة تدفع عن العبد غضب الرب، ففي الحديث الشريف: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء". رواه الترمذي، كما يقول صلى الله عليه وسلم: "الصدقة في السر تطفيء غضب الرب مستدرك الحاكم.

(١٤) ضمان دخول المزكي في معية الله

فالمزكي في معية دائمة لله عز وجل، حيث يقول الحق تبارك: " وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " (المائدة: 12)، من كان الله معه ضمن السكينة، وضمن الحفظ والتأييد من الله، وضمن السعادة في الدنيا والآخرة، من كان الله معه فلن يضره شيء، من كان الله معه فمن عليه؟ من كان الله معه فلن يصل إليه أحد؟ من كان الله معه فكل من كان ضده هباء ولا وجود له ولا أثر، ولكن هذه المعية لها ثمن، لها أسباب من بينها إيتاء الزكاة.

(١٥) جلب رحمة الله عز وجل للمزكي

فالزكاة أحد أسباب نيل رحمة الله عز وجل ورضاه، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" (الأعراف: 156).

(١٦) وقاية المزكي من ميتة السوء

ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المعروف إلى الناس يقي صاحبه مصارع السوء والآفات والمهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" مستدرك الحاكم. كما يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء" رواه الترمذي. ففي الزكاة ضمان لحسن الخاتمة. فشتان بين من يموت في المسجد وبين من يموت في ملهى ليلي أو في المرحاض، بين من يموت وهو ساجد وبين من يموت وهو على معصية، بين من يموت على فراشه و بين من يموت وتلقى جثته في الشارع ساعات وساعات، بين من يموت وهو يتلو القرآن وبين من يموت وهو يتصفح مواقع ما على شبكة الانترنت، بين من يموت وهو في الطريق لزيارة مريض وبين من يموت وهو في الطريق إلى معصية ما، بين من يموت وهو في مجلس علم وبين من يموت في مجلس غيبة ونميمة. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ فَقِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ" (رواه الترمذي).

(١٧) حفظ المزكي من أهوال يوم القيامة

فالفردي ظل صدقته يوم القيامة ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس"، رواه ابن حبان.

(١٨) الاستئصال بظل الله يوم القيامة

فالصدقة تظل صاحبها عند دنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة، وهو يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ففي الحديث الشريف "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وذكر منهم: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ" رواه البخاري. كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من نفَس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفَس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". رواه ابن ماجه والترمذي.

(١٩) وقاية المزكي من النار

ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من استطاع أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل"، رواه ابن حبان.

ويلزم الإشارة إلى أن في الزكاة تعويد للفرد على طاعة الله عز وجل والامتثال لأوامره، فالعبادات - ومنها الزكاة - هدفها الأساسي هو الانقياد والخضوع لله عز وجل والامتثال لأوامره فهي مطلوبة لذاتها وغاية في نفسها. وليست مجرد وسيلة أو أداة لتحقيق أحد أو بعض الأهداف السابقة، والفرد عندما يؤدي الزكاة يجمع بين الفوز بثواب طاعة الله والفوز بالمنافع الأخرى التي قد تكون دنيوية كما قد تكون أخروية، وبمعنى آخر فإن هذه الفوائد ثمرة الانقياد والطاعة والعبادة. وهذا من فضل الله عز وجل على عباده.

ثانياً: بالنسبة لمستحقي الزكاة

لا تقتصر المقاصد المعنوية للزكاة على المزكين وإنما تتعدى ذلك إلى مستحقيها، ويتضح ذلك مما يلي:

(١) رفع الحرج عن الفقراء والمساكين

ويتضح ذلك من خلال اعتبار الزكاة حق للفقراء والمساكين، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" (المعارج: ٢٥، ٢٤)، وكذا قوله تعالى: "وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأنعام: ١٤١). وأيضا قوله: "وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا" (الاسراء: ٢٦). فالزكاة ليست منة ولا تطوع ولا إحسان من الغني للفقير، وإنما هي حق له. ومما يؤكد حرص الإسلام على رفع الحرج عن مستحقي الزكاة هو ما ذهب الفقهاء إليه من اعتبار الزكاة "تمليك لمستحقيها".

(2) تخليص الفقير من آفة الحسد والحقد

فالحسد أحد الأمراض الخطيرة التي قد تصيب الفرد فيتمنى معه الحاسد زوال النعمة من الغني، وقد يتعدى الأمر حد الحسد إلى الحقد بالعمل على إزالة النعمة من الغني، فالحقد يحول الشعور إلى سلوك. والفقير إذا استشعر أن له نصيب وحق في مال الغني وأنه لن يبخل عليه بهذا الحق فإنه لن يتمنى زوال تلك النعمة عنه بل يتمنى دوامها وزيادتها لأن في ذلك زيادة لحقه، أما إذا شعر بأن مال الغني يزداد وأنه في المقابل يزداد فقراً وحاجة فإن الحسد سوف يجد طريقه إلى قلبه، ومن هنا كانت الحكمة من عدم اشتراط الحول في زكاة الزروع والثمار وإيجاب الزكاة يوم الحصاد، وما ذلك إلا لتعلق أعين الفقراء بالمال، وقد حرص الإسلام على تخليص نفوس أفراد من هذا الداء الخطير الذي لا يجتمع مع الإيمان في قلب واحد، ولذا فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسد والبغضاء في قوله: "دَبَّ إِلَيْكُم دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ"، رواه الترمذي.

(٣) تخليص الغارم من هم الدين

فالغارم هو المدين في غير معصية، سواء أكان ذلك الدين لمصلحة نفسه أو لإصلاح ذات البين، وللغارم سهم من حصيلة الزكاة وأساس ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة: 60).

ولما كان الدّين - كما ورد في الأثر - هم بالليل ومذلة بالنهار، فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعيز بالله منه صباحاً ومساءً في قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدّين، وغلبة الرجال"، رواه البخاري. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى خطورة الدّين على سلوك المدين إذ قد يدفعه الدين إلى الكذب أو الإعتداء على أموال الغير بالسرقة أو نحو ذلك.

والزكاة تُسهم في تخليص هذا المدين من هم الدّين، ومن آثار هذا الهم، من خلال تخصيص سهم من حصيلة الزكاة للغارمين.

(٤) ضمان الحياة الكريمة للمسلم المسافر

فابن السبيل هو من فقد أو نفذ ماله في أثناء سفره في غير معصية، وهذا له سهم من حصيلة الزكاة، وأساس ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة: 60). حيث يأخذ ابن السبيل من الزكاة ما يُعينه على العودة إلى بلده حتى وإن كان غنياً في بلده وفي هذا العمل ضمان لحياة كريمة للمسلم المسافر فلا يضطر إلى مد يده للغير، كما أنه لا يضطر إلى العمل لدى الغير ليغطي نفقات عودته إلى بلده.

(٥) الحفاظ على كرامة مستحقي الزكاة

فتحصيل الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية من مسئوليات ولي الأمر، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً" (التوبة: 103)، كما يقول: "الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمْزُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" (الحج: 41)، وفي ذلك حفظ لكرامة مستحقي الزكاة وعدم إحراجهم بأخذها مباشرة من الأغنياء، وحتى لو تم أخذها مباشرة من الأغنياء فهم مأمورون - أي الأغنياء - بالمحافظة على كرامة المستحقين وعدم المن والأذى، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" (البقرة: 264).

ومما يؤكد على أن الهدف من الزكاة ليس اقتصادياً فقط هو أن إشباع حاجة الفقير الاقتصادية تتحقق حتى مع وجود المن والأذى إلا أن الإسلام يرفض ذلك، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: "قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ" (البقرة: 263).

(٦) المحافظة على شخصية وذاتية مستحقي الزكاة

فالزكاة تُشعر الفقير والمسكين بأن له قيمة في المجتمع المسلم وأن هذا المجتمع يقف إلى جانبه ويدعمه ويقدم له يد العون وبقيال عثرته، ولا يتركه فريسة للفقر والجوع والحرمان، وشدة الحاجة التي قد تدفعه إلى ارتكاب الجرائم.

ولما كانت الزكاة دواء لهذه الأمراض وكان الإسلام حريص على تخليص الأفراد والمجتمع من هذه الأمراض فقد جعل أمر تحصيلها وإنفاقها في مصارفها الشرعية من مسئوليات الحاكم فالمسلم ليس حراً

في أن يدفع الزكاة أو لا يدفعها "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" (الحج: 41)، بل أجاز للحاكم توقيع غرامة مالية على مانعها، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أعطاه مؤتجراً فله أجرها، ومن منعها فأثماً آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا عز وجل"، ليس لآل محمدٍ منها شيء"، رواه أبو داود. وقد وعى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذلك، ولذا فقد أقسم بقوله: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" كما قال: "والله لو منعوني عقاب بعير كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليه". ويتضح مما سبق أن الإسلام لا يعالج الأمراض - ولا سيما ما يتعلق منها بالقلوب - بالخطب والكلمات وإنما يعالجها باستئصال جذورها واقتلاع أسبابها من خلال اعتبار الزكاة أحد أركان الإسلام وجعل أمر تحصيلها وإنفاقها من مسئوليات الدولة بل وتحديد مصارفها حتى تحقق الزكاة مقاصدها.

وصايا إلى المزكين

- بعد أن تناولنا الجوانب المعنوية للزكاة، قد يكون من المناسب أن نشير إلى بعض الوصايا التي يجب أن يلتزم بها المزكي حتى يستطيع أن يحصد هذه الثمار، ولعل أهم هذه الوصايا ما يلي:
- (1) الحرص على الإخلاص، فالمولى سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خاصاً له وابتغى به وجهه، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ"، (البينة: 5). كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ"، رواه النسائي.
 - (2) تجنب المن والأذى وأساس ذلك قوله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" (البقرة : 264).
 - (3) الحرص على أن تكون الصدقة في السر، وأساس ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (البقرة : 271).
- والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" وذكر منهم "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ"، (رواه البخاري).
- ومع ذلك فإن كان في الإظهار ترغيب للناس في الاقتداء به في إخراج الزكاة والصدقات فالإظهار أولى "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (البقرة : 271).
- (4) المسارعة إلى الصدقات وقت الصحة، فعن أبي هريرة قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أعظم فقال "أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان" رواه ابن حبان.
 - (5) الحرص على أن يكون مال المزكي حلالاً طيباً، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها ما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل" رواه البخاري.
 - (6) التعجيل في إخراج الزكاة فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ما خالطت الصدقة مالا إلا أهلكته"، سنن البيهقي، حتى لا تتغير نفس المزكي مع التسويف فقد يؤثر عدم إخراجها.
 - (7) الأولى أن يكون دفع الزكاة لمستحقيها من الأقارب وذوي الأرحام، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (البقرة: 215)، وقد ورد في الأثر: "الأقربون أولى بالمعروف" فالصدقة على الأقربون صدقة وقرية معاً.

(8) الحرص على إخراج الزكاة من أفضل الأموال ولا سيما إذا كانت عينية، والحذر من تعمد إخراجها من الخبيث، فالصدقة تقع في يد المولى عز وجل قبل أن تقع في يد الفقير، حيث يقول عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" (البقرة: 267). قال ابن عباس: "أمرهم بالإِنفاق من أطيب المال، وأجوده، وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً".

وقد جعل سبحانه وتعالى من الإِنفاق مما نحب شرطاً لنيل البر فقال عز وجل: "لَنْ تَتَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (آل عمران: ٩٢).

"والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"